بالاسم وبينه إذا كانَ بالفعلِ . وهو فرقٌ لطيفٌ تَمسّ ُ الحاجةُ في علمِ البلاغة إليه . وبيانُه أنّ َ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدّ ُده شيئاً بعدَ شيء . وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تجدّ ُدَ المعنى المثبتِ به شيئاً بعدَ شيء . فإذا قلتَ : زيدٌ منطلقٌ . فقد أثبتّ َ الانطلاقَ فعلاً له من غيرِ أن تجعلَه يتجدّ َدُ ويحدثُ منه شيئاً فشيئاً . بل يكونُ المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيدٌ طويلٌ وعمرٌو قصيرٌ . فكما لا تَقْصِدُ هاهُنا إلى أن تجعلَ الطّ ُولَ أو القصرَ يتجدّ ُ ويحدثُ بل تُوجبهُما وتثبتُهما فقط وتقضي بوجوِدهما على الإطلاقِ كذلك لا تتعرضُ في قولك : زيدٌ منطلقٌ . لأكثرَ من إثباتِهِ لزيد .

وأما الفعلُ فإنه يُقْصَدُ فيه إلى ذلك فإذا قلتَ : زَيدٌ ها هو ذا ينطلقُ . فقد زعمتَ أنّ َ الانطلاقَ يقعُ منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاولُه ويزجّ ِيه . وإن شئتَ أن تُحِسّ َ الفرقَ بينهما من حيثُ يلطُفُ فتأمّل هذا البيتَ - البسيط - : .

(لا يأْلَفُ الدّ ِرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرقَتَنا ... لكِنْ يَمُرّ ُ عَلَيها وَهْوَ مُنطلقُ) .

هذا هو الحسنُ اللائقُ بالمعنى . ولو قلتَه بالفعل : لكن يَمُرّ ُ عليها وهو ينطلقُ لم يَحْسُن . وإذا أردتَ أن تعتبَره بحيثُ لا يخفَى أنّ َ أحدَهُما لا يصلحُ في موضعِ صاحبهِ فانظْر إلى قولِه تعالى : (وكلْبُهُم باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالوصِيدِ) فإنّ َ أحداً لا يشكّ ُ في امتناعِ الفعلِ هاهُنا وأن قولَنا : كَلبُهم يبسُطُ ذراعَيه لا يؤدّ ِي الغرضَ . وليس ذلك إلاّ لأنّ َ الفعلَ يقتضي مُزاولةً وتجدّ ُدَ الصّ ِفة في الوقتِ . ويقتضي الاسُم ثبوتَ الصّ ِفة وحصولَها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعل ومعنى يحدثُ شيئاً فشيئاً . ولا فرقَ بينَ : (وكلبُهم باسطٌ) وبين أن يقولَ : وكلبُهم واحدٌ مثلاً في أنك لا تثبتُ مزاولةٍ ولا تجعلُ الكلبَ يفعل شيئاً بل تُثبتُه بصفةٍ هو عليها . فالغرضُ إذاً تأديةُ هيئةِ الكلب . ومتى اعتبرتَ الحالَ في الصّ ِفاتِ المشبّ َهة وجدتَ الفرقَ ظاهراً بيّ ِناً ولم يعترضْك الشكّ ُ في أنّ َ أحدَهما لا يصلحُ في موضعِ صاحبه . فإذا قلتَ : زيدٌ طويلٌ وعَمرٌو قصيرٌ لم يَصْلُحْ مكانَه : يطولُ ويقصُر وإنما تقولُ : يطولُ ويقصُر إذا كان الحديثُ عن شيءٍ يزيدُ وينمو كالشّ َجرِ والنباتِ والصّ َبيّ َ ونحوِ ذلك مما